العرب
الإثنين 2021/04/12
السنة 43 العدد 12028

مجتمع ذكوري يواجه نهايته في العام 2257

«سريان الفوضى».. فيلم يروي مغامرة العبور إلى المستقبل بعد فناء الأرض

تدور أحداث فيلم "سـريان الفوضىٰ" للمخرج دوغ ليمان في كوكب معزول ومراقب. وهو عالم يبدو غريبا ومبهما وخاليا تماما من النساء. لكنّ الأحداث تتسارع في مشاهد تقطع الأنفاس بحلول فتاة فضائية علىٰ الكوكب.

فتاة فضائية وشاب قروي في رحلة إنقاذ محفوفة بالمخاطر

طاهر علوان
كاتب عراقي

ماذا لو كانت أفكارنا مكشوفة للجميع؟ وماذا لو كان ما يدور في رؤوسنا يستطيع الآخرون سماعه أو إدراكه مباشرة دون الكثير من الجهد؟ وماذا لو حمل كل منا سحابة صغيرة مستقرة فوق رأسه هي كل حواراته مع نفسه التي بإمكان الآخرين أن يلتقطوها؟ هذا الخيال المديد يقع في العام 2257، وهو الذي يحمله فيلم "سريان الفوضىٰ" للمخرج دوغ ليمان.

ذلك الخيال المديد والرحب سوف يذهب بنا بعيدا إلىٰ تلك القرية التي تكون قد عادت إلىٰ بدايات التجمعات البشرية، وتذكّرك بأفلام الويستيرن في الزي وفي التنقل علىٰ الخيل وفي اعتماد الزراعة موردا للعيش.

> الفيلم يمزج الأزمنة والأمكنة بأخرى ومع بعضها بعضا دون أن يربك مسار الأحداث التي تنتصر لفكرة التفوّق البشري

تلك البقعة المكانية المعزولة عن العالم هي ملجأ فئة بشرية صغيرة إلىٰ كوكب مجهول يبعد بمسافات شاسعة عن سطح الأرض، وهو عرضة لغزوات فضائية. ومع تتابع المشاهد تلحظ غياب المرأة بشكل كامل، وإن هو إلاّ كوكب ذكوري بالمطلق.

في موازاة ذلك تكون مركبة فضائية تحلق في السماء تتعرّض إلىٰ عطل، فتنزل علىٰ سطح الكوكب وهي تحترق فلا تنجو منها إلاّ فتاة، فكيف يكون الحال مع نزول فتاة في مجتمع ذكوري؟

يبرع المخرج منذ البداية في بناء الإحساس بعالمين متباينين، ذلك العالم القروي الذي يذكّرك بأفلام الويستيرن في مقابل العالم المتطوّر الذي تمثله الفضائية فيولا (الممثلة ديزي ريدلي) التي تشاء الصدف أن يشاهدها الشاب تود (الممثل توم هولاند) ولا يتمكن من إخفاء ضوضائه التي من خلالها سوف يلتقط الجميع معلومة وجود فضائية تحطمت مركبتها في وسط الغابة، وهو ما سوف يبلغه للعمدة برنتيس (الممثل مادس ميكلسين)، وتبدأ عندها حملة بحث عن الفتاة لا هوادة فيها ويتهم تود ووالديه بالتبني بالتستر علىٰ الفتاة.

هذا التحوّل في الدراما هو الذي سوف يصعّد الصراع ما بين تود والعمدة وأتباعه في مطاردة مصنوعة ببراعة في وسط الغابات، مع انطلاق فيولا بدراجتها النارية.

عندما كتبت الناقدة باري إيفانز عن الفيلم أنه غني بطبقاته السردية المتعددة ووجهات نظره المتنوعة، كانت علىٰ حق، فهذا الفيلم ينطوي علىٰ العديد من الطبقات والرؤى المختلفة، لاسيما وأنه ينتقل بنا بالتدريج من الحيز المكاني الساكن الممثل في القرية وفق نمط الويستيرن إلىٰ مطاردة الفتاة الفضائية وصولا إلىٰ المواجهة الحاسمة التي تقع علىٰ أرض مستعمرة فيربانش.

في تلك المستعمرة سوف تسود حياة أخرى مختلفة، فهي مستعمرة تقودها امرأة وهي تكوين اجتماعي متناسق وطبيعي قوامه الرجال والنساء والأطفال، وهي التي سوف تحتضن فصلا جديدا من فصول تلك الدراما.

التمكن من إدارة الأحداث والصراع من مكان إلىٰ آخر وفي كل مرحلة من التحوّلات يمنح الفيلم إحساسا جماليا مختلفا تتجلىٰ فيه روعة الطبيعة وتنوّعها وكذلك تنشأ تلك المحبة الصافية بين فيولا وتود، وحيث تصبح مجرد قبلة عنصر ضجيج في غيمة تود.

وفضلا عن أن الهدف من ملاحقة العمدة لتود هو انتزاع فيولا منه باعتبارها تنتمي إلىٰ مستعمرة متطورة سوف تغزوهم لا محالة، لهذا يريدها ورقة ابتزاز، ولهذا تتطوّر المواجهة إلىٰ سلسلة من مشاهد الأكشن السريعة، خاصة عند النزول إلىٰ البحيرة وجرف المياه لزورق تود وفيولا، وهما يتصارعان مع القس في مشاهد متميزة.

ولعل ميزة الخيال العلمي الباذخة في هذا الفيلم في كونه فيلم ذا ثيمة مستقبلية وما بعد الديستوبيا الأرضية، هي كونه يمزج أزمنة بأخرى وبيئات وأماكن مع بعضها. ولكن وفي النتيجة سوف تنتصر تلك العلاقة بين فيولا وتود القائمة علىٰ فكرة التفوّق والنجاح بأي شكل كان.

هنا ثمة مشاهد تشويق إضافية ومشاهد قطع أنفاس، خاصة مع سعي تود لإعادة الحياة لجهاز اتصال متطوّر من خلال ربط الهوائي في أعلىٰ حطام سفينة فضائية، وذلك ما يتيح لفيولا أن تتصل بمركبات فضائية أخرى طلبا للعون، بينما يخوض تود عراكا شرسا مع العمدة.

تم توظيف مستويات التصور والتنويع في حجم اللقطات وإغناء المشاهد بالمزيد من المفاجآت، وجميعها في إطار مغامرة تبدو في غاية البساطة من خلال أداء تود وفيولا والانتقاء الواعي لباقي الشخصيات، وخاصة والد تود بالتبني وشخصية العمدة الشرير وقبلهم جميعا شخصيتا فيولا وتود المتميزتان.

ولنلاحظ هنا اكتناز هذا الفيلم بالعديد من مقومات الفيلم الناجح والجدير بالمشاهدة، فالمخرج لم يكتف بقصة الخيال العلمي وغزو المركبة الفضائية لكوكب آخر، ممّا هو معتاد في العديد من أفلام الخيال العلمي، بل إنه مضىٰ إلىٰ ما هو أبعد، فقدّم نسقا واقعيا من خلال مجتمع القرية الذكوري ثم مجتمع القرية الثاني الخليط ثم إنتهاءً إلىٰ المواجهة الحاسمة مع العمدة.

خلال ذلك كان هناك نمو منطقي للأحداث مضافا إلىٰ الاتزان في تعبير الشخصيات عن نفسها، وخاصة فيولا التي بدت مقتصدة في حوارها، ثم لتتفاعل مع شخصية تود وتنسجم معه دون أن تتخلىٰ عن شخصيتها وباعها وكيف نشأت في مستعمرة فضائية وكيف تطورت إلىٰ رائدة فضاء مرموقة.

قصص ريموند كارفر الجامحة تسردها الخشبة

"قصص قصيرة" عرض أعدّه المخرج الفرنسي سيلفان موريس لمسرح سارتروفيل شمالي باريس عن قصص للأميركي ريموند كارفر الذي برع في تصوير أحداث المعيش اليومي للبورجوازية الصغيرة في أميركا العميقة، حيث لا يبحث المرء سوى عن سعادة بسيطة.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

اختار المخرج الفرنسي سيلفان موريس إعداد عمل مسرحي انطلاقا من ستّ قصص لواحد من أعلام هذا الجنس الأدبي، هو الأميركي ريموند كارفر (1938 – 1988) الذي يضعه النقاد في مقام تشيخوف وموباسّان، فقصصه لها من العمق والجدّة ما جعل بعض المسرحيين والسينمائيين يقبلون علىٰ تحويلها إلىٰ مسرحيات أو أفلام، علىٰ غرار الفرنسي كريستيان بيتيو في مسرحية "ممارسات لا تُسمّىٰ"، والأميركي روبرت ألتمان في فيلم "تخفيضات سراويل قصيرة"، والفرنسي غيّوم فانسان في مسرحية "أحِبّني بحنان".

والقصص المختارة هي علىٰ التوالي: "جار العتبة"، "أنت دكتور؟"، "حدّثني عن الحبّ"، "بدين"، "تَوْق" و"حلاوة صغرى"، وتتميّز جميعها بالقصر والواقعية، وتركيزها علىٰ ثيمة "الأزواج"، صغارا أو كبارا، وهوسهم بالسعادة، في بيوت يعتبرونها آخر ملاذ، ولكن الحياة لا تمضي دائما مثل نهر طويل هادئ، بل تتخللها أحيانا بعض المآسي.

في هذه القصص القصيرة يركز كارفر بفضول وتعاطف وطرافة علىٰ تلك العلاقة الثنائية التي تربط كائنين، لأنه يعتقد أن الترابط بين زوجين ضرورة لا محيد عنها، رغم أنه يقود أحيانا إلىٰ قطيعة، أو فراق مؤقت، أو تجاهل ووحدة مؤلمة. ويرصد شخصياته وهي تعقد يوميا اتفاقيات ومصالحات، كبيرة أو صغيرة، أو تعاين انتكاسات، دون أن يُصدر حُكمه لها أو عليها.

بعضها طريف كقصة "بدين" التي تسرد حكاية رجل شره جالس في مطعم لتناول وجبة، فلما ذهب النادل ليجيئه بالسلطة، وجده قد أكل الخبز، ولما عاد بالخبز وجده قد أكل السلطة، واكتفىٰ في النهاية بأن قال "أعذرني، فما كلّ مرة تتاح لي فرصة التمتع بالأكل".

وهي قصة تذكّر بحكاية عربية طريفة نقلتها كتب الأخبار والطرائف عن عابر سبيل نزل بدير زاهد، فجاءه الزاهد بالمرق، فلما عاد بالخبز وجده قد أكل المرق، فلما جاءه بمرق آخر، كان قد التهم الخبز.. وتنتهي الحكاية بأن باح له بأنه يقصد المدينة للقاء طبيب، نظرا لضعف شهيته للأكل.

> المسرحية تعرض الشخصيات بمحاسنها وعيوبها، بهشاشتها وخداعها، وكذلك إمكانية شفائها ممّا تلقى من مآس

وبعضها الآخر تراجيدي مثل قصة "حلاوة صغيرة"، وتروي مفارقة بين طلبية كعكة عيد الميلاد وحادث مرور يتعرّض له الطفل الذي طُلبت لأجله الكعكة. وفي ذلك يقول كارفر "كان سعيدا ومحظوظا، يعرف ذلك. والداه لا يزالان علىٰ قيد الحياة، وأخوه وأخته استقرّت حياتهما، وأصدقاؤه في الجامعة تفرّقوا ليأخذوا مكانهم في المجتمع. حتىٰ الآن، ظل في منعة من المأساة، من تلك القوى التي يعرف أنها موجودة، وأنها يمكن أن ترعب الإنسان، أو ترديه إذا ما وقع عليه سوء الحظ".

يتبدّى أبطال تلك القصص، الذين يرجع عهدهم إلىٰ الخمسينات في أميركا العميقة، في وصف مشوب ببعض الكآبة والطرافة في نفس الوقت، فلا هم فقراء ولا هم أغنياء حقّا، لا أسخياء ولا لئام، بل ينتمون إلىٰ شريحة مجتمعية من البورجوازية الصغيرة تعيش يومها، بعيدا عن "الحلم الأميركي"، في بيوت متجاورة، يقضون أوقات فراغهم فيها، فتنشأ في العلاقات الزوجية رتابة، وأخذ وردّ بين ودّ وصدّ، أو كما قال الكاتب "لن أعيش حياتي من دونك، لن أعيشها كلّها معك"، حياة يصوّرها بواقعية ولغة بسيطة، تنفذ إلىٰ ما هو حميم في علاقة الأسر، فيصف روابط تمتد حينا، وتنقطع حينا آخر ليعيش الفرد ذكرا أو أنثىٰ في وحدته.

وقد استطاع المخرج أن يعالج تلك القصص معالجة مسرحية، يتنقل خلالها من قصة إلىٰ أخرى دون أن يحدث بينها قطيعة، باستخدام فواصل موسيقية وغنائية قصيرة تساعد علىٰ المرور بسهولة من مشهد إلىٰ آخر.

ورغم أن السينوغرافيا اقتصرت علىٰ ستار ذي ألوان متغيرة، فإن العرض يشدّ الانتباه بفضل توازن المشاهد وحسن أداء الممثلين في المزاوجة بين ما يقال أو يُعرض وبين ما ينسج تحت سطح الوعي، بين فرح ظاهر وكآبة مضمرة، تعبيرا عن الوضع الإنساني في بعض أوجهه، فقد نجح سيلفان موريس وفرقته في المحافظة علىٰ حيوية نصوص كارفر، وروحها الساخرة، وحتىٰ كآبة بعض أبطالها. فهم يعرضون الشخصيات بمحاسنها وعيوبها، بهشاشتها وإمكانية لجوئها إلىٰ الغشّ والخداع، وكذلك إمكانية شفائها ممّا تلقىٰ من مآس.

يصوّرونها وهي تتأرجح بين الأمل واليأس، في سيرورة الحياة التي تحياها عبر تقلباتها، المحسوبة حينا، والمفروضة حينا آخر. وقد انتهج المخرج لتحقيق ذلك ما أسماه بالتناول "التكعيبي" الذي يقوم علىٰ تعدّد وجهات النظر، مع أصداء وارتدادات باطنية.

يقول كارفر "أحبّ الوثبة المرنة السريعة للحكاية القصيرة، والإثارة التي تتولّد منذ الجملة الأولىٰ، والشعور بالجمال الملغز الذي ينشأ عنها". فقصصه، علىٰ واقعيتها، تحفل بالفراغات، والمسكوت عنه، أو ما يروم الكاتب أن يتركه للقارئ كي يُتمّه وفق ما يتخيّل، وهو ما سعىٰ سيلفان موريس إلىٰ إظهاره في هذا العرض الأول الذي خصّص للمحترفين من أهل المسرح والصحافة، ولم نتابعه كالعادة في هذا الظرف الذي ازداد تأزّما، إلاّ عبر المواقع الاجتماعية.

العلاقات الزوجية.. أخذ ورد بين ود وصد

إعادة الاعتبار إلى الرسم

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ذات مرة طلبت ملكة بريطانيا أن يرسمها لوسيان فرويد. ذلك طلب لا يُرد. ولكن فرويد وهو حفيد عالم النفس النمساوي الشهير وجد في ذلك الطلب مناسبة لفرض شروطه علىٰ ملكة استثنائية.

المفاجأة أن إليزابيث قبلت بشروط الرسام الذي اشتهر برسومه الفاضحة. ولو تذكّرنا أحوال فلاسكسيز وغويا ومن قبلهما رامبرانت وهم يرسمون الملوك والأمراء لأدركنا النعمة التي كرستها الديمقراطية.

لقد خاطب الرسام الملكة كما لو أنه يخاطب مواطنا عاديا. قبلت الملكة بأن يملي عليها الرسام شروطه، لأنها تعرف قيمة أن يرسمها رسام بأهمية لوسيان فرويد (1922 ـ 2011). لم يتماد فرويد في شروطه كأن يطلب من الملكة الحضور إلىٰ مرسمه لتجلس أمامه. بدلا من ذلك وقعت الجلسات في قصر سانت جيمس بين مايو 2000 وديسمبر 2001.

زمن طويل استغرقه الرسام في تنفيذ عمله. ولكن المفاجأة حدثت حين تم الكشف عن حجم اللوحة. كانت صغيرة إلىٰ درجة تبعث علىٰ الدهشة. أليس مهينا أن تُرسم ملكة في لوحة يبلغ مقاسها "15 × 22 سم"؟ ذلك سؤال ينتمي إلىٰ عصور اندثرت فلم تعد قيمة الأشياء تُقاس بحجمها أو سعتها.

كانت تلك اللوحة بمثابة لقية نفيسة لا لشيء، إلاّ لأنها تحمل توقيع رسام بحجم لوسيان فرويد الذي قال بعد أن أتم عمله "لقد خُيل إلي أنني أنا الملك".

لقد وضعت الملكة علىٰ رأسها التاج الذي يظهر في صورتها علىٰ الطوابع بناء علىٰ طلبه. بعد ذلك كشف فرويد عن أنه كان يحلم بصورته وهو يضع التاج عينه علىٰ رأسه. كانت تجربة شيقة وفريدة من نوعها بالنسبة إلىٰ الاثنين.

ما عدا اللقاء الاستثنائي فإن الملكة التي رُسمت مئات المرات من قبل رسامين غلب علىٰ أساليبهم الطابع التقليدي المتقن، تخطت عقدة الرصانة لتجلس أمام رسام عُرف بتخطيه لتلك الأساليب والتعامل مع الوجوه التي يرسمها كما لو أنها كتلة متشنجة من الأعصاب.

أما الرسام فقد كانت تلك المناسبة فرصة له لكي يُطلق روح الملك التي تلبسته باعتباره فنانا حرا ومتمردا يردّ الاعتبار إلىٰ الرسم في مواجهة الملوك. في عمل صغير تجلت قوة الرسم عبر العصور.

الرسام والملكة.. السلطة والفن وجها لوجه